

قراءة أثرية لشواهد القبور اليهودية بحوش موصيري جنوب القاهرة

بقلم النبي جبر سراج

مدير عام الآثار اليهودية

لمجلس الأعلى للآثار المصرية

تقع المقابر اليهودية بمنطقة البساتين جنوب القاهرة عند سفح جبل المقطم وفي دائرة إهتمام إدارة الآثار اليهودية للمجلس الأعلى للآثار المصرية باعتبارها معبرة عن فترات زمنية طويلة ولها خصائص معمارية وزخرفية وفنية تحمل كتابات لها دلالتها الدينية والاجتماعية بالإضافة الى تعبيراتها الفنية والتشكيلية . لذلك قمنا بقراءة النصوص المنقوشة على شواهد القبور الموجودة بحوش موصيري وما جاورها من قبور يهودية عامة وفي هذا المقال نسجل عددا من النصوص الدينية المنقوشة على هذه الشواهد وتبرز خصائصها الفنية والتعبيرية من حيث مغزاها الديني والتاريخي وتأثرها بالبيئة المحلية وبوصفها تحمل عبارات تشير الى الفكر اليهودي بصفة عامة كما تشير إلى علاقة الأسر اليهودية المصرية ببعضها من النواحي الاجتماعية مثل المصاهرة والقراية كما تظهر فنون الكتابة والخط العبري ودلالات الحروف والاختصارات العبرية والاقتباسات التوراتية ، تلك الأمور التي يمكن أن تساعد فيما يمكن أن نطلق عليه الفن اليهودي . ومن المعلوم أن حوش موصيري يقع في منطقة المقابر اليهودية جنوب شرق مدينة القاهرة عند سفح جبل المقطم ويحتوي على مدافن وقبور تضم رفات الموتى من عائلات موصيري وقطاوى وعاداه وروولو وعدس

وشيكورويل ومزراحي وحنان ولاوى وحسان والجاي وكجار وغيرها من عائلات يهود مصر . ومعروف كذلك أن شخصيات من عائلة موصيري وعائلة قطاوى خاصة قد لعبت أدوارا مهمة في الحياة المصرية خاصة في النشاط الاقتصادي والثقافي فعلى سبيل المثال يوسف قطاوى باشا كان وزيرا للمالية في عهد الملك فؤاد في بدايات هذا القرن العشرين كما كان الحاخام الأكبر دافيد ناحوم عضوا في مجمع اللغوي المصري حتى وفاته عام ١٩٥٠ م .

وكذلك كان نسيم موصيري رئيسا للمحكمة المختلطة الاجتماعية وكان ابنه يوسف موصيري قاضيا في نفس المحكمة وكذلك كان فيكتور موصيري عضوا بالعديد من الجمعيات العلمية في مصر وأوروبا كما أن عائلة قطاوى شغل بعض أبنائها وظائف هامة في مصر خاصة في مجال الاقتصادي والمال والبنوك الى جانب رئاسة الطائفة اليهودية .

وتدل شواهد القبور في حوش موصيري على أن معظم الرفات المدفونة تنتمي الي هاتين العائلتين ومن خلال قراءة النصوص لاحظنا أقدم شواهد القبور تحمل تواريخ ترجع إلى سنة ٥٦٠٨ للخليفة وما بعدها أي قبل ١٥٠ سنة وهو شاهد قبر سماحة الحاخام "اسحق سوارس" ، توفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر كسلو سنة ٥٦٠٨ وربما يكون هناك شواهد قبور ترجع إلى أزمنة أقدم لأنه من المؤكد أن أعدادا كبيرة من اليهود قد عاشت في مصر منذ قديم الزمان وبدل على ذلك قبر الحاخام الأكبر "حاييم كابوس" المدفون

بجوار حوش موصيري وقد توفي في مصر ودفن في المكان الذي بنى له معبد فيه يحمل إسمه في منطقة البساتين سنة ١٦٣١ م بجوار حوش موصيري . ومن خلال قراءة النصوص المنقوشة على شواهد القبور وطبعا بعد صعوبة واضحة بسبب تأكل بعض الحروف من اثر العوامل الجوية مثل المطر وحرارة الشمس وأيضاً بسبب وقوع الكاتب في بعض الأخطاء الإملائية لأنه من المحتمل ان الكاتب لم يكن من دارسي اللغة العبرية فأثناء نقش الحروف قد إختلطت عليه الحروف المشابهة مثل حرف الهاء وحرف الحاء على سبيل المثال وأيضاً أسقط النقط التي تميز الحروف وهكذا لاحظنا كذلك ان هناك عبارات كثيرة مقتبسة من أسفار العهد القديم وهذه العبارات تحمل أكثر من معني فقمنا باختيار المعنى الذي يناسب المقام . كذلك لاحظنا أن بعض الكتابات ذات تعبيرات تحمل إيماءات تدل على شدة المرارة والحزن على الفراق بينما هناك تعبيرات على شواهد أخرى تكتفي بذكر إسم المتوفى وتاريخ الوفاة فقط وبعضهما يفضل التعريض بالمتوفى ويشير الى أخلاقه وأعماله الصالحة ويذكر نسبه كذلك . مثال ذلك هذه العبارات من نوع الرثاء الحزين باللغة العبرية وترجمتها (لتذرف جميع الأعين الدموع أنهارا كنع مياه لا تنقطع . . . في حفائر تراب تمرغوا وابكوا صاحب الحكمة كريم الشمائل فهو الجبل الشاهق مقيم الشريعة محب البر والإحسان" . وكذلك هذه العبارة "لا أعتراض على أن الله أخذها عنده فإنها في أعماق قلوبنا الى الأبد . . . إنها رحلت عن الدنيا وتركت سمعة طيبة ليتغمدها الله

برحمته فذكرها الخالدة سوف تبقى نموذجاً يحتذى " وهذا شاهد قبر منقوش عليه بالعبرية . كذلك ما ترجمته " لديته استودع الروح أثناء نومي ويقظتي ومع روعي أستودع جسدي ولأن الرب معي فلا أخاف أبداً " . فهذه الكتابة يتضح منها أن العبارات مستوحاة من خواطر إنسان طلب أن تنقش على قبره لتبقى روحه مطمئنة بعد الموت

وكذلك على نفس النمط وجدت هذه العبارات منقوشة على شاهد قبر وترجمته : " يا إلهي مصيري بين يديك ، إن الله واهب الحكمة وواهب الرادة من أجل أن نعمل وواهب القلب من أجل أن نتحاب . " وعلى شاهد آخر نقرأ هذه العبارات وترجمتها : " إنا لله وإنا إليه راجعون . . . إنه يوم ملبد بالغيوم والضباب . هو يوم حداد وبكاء شديد المرارة فقد اجتشت اليوم شجرة حياة تقدمتها ملائكة الرب بالترنيم لتتوج رأسه بأسمى التيجان ولتفتح له أبواب الجنة حتى تنعم روحه مع أرواح القديسين والأطهار وليتغمده الله برحمته " .

ومعظم الشواهد تحمل عبارات دعائية دينية للمتوفى بأن يكون مستقره الجنة كما تشير العبارات التي تقوى المتوفى والى أعماله الطيبة في الدنيا ، مثال ذلك هذه الكتابة على شاهر قبر حاخام ترجمتها " شاهد قبر العالم الجليل التقى متبع الصراط المستقيم سماحة الحاخام اسحق سوارس اسكنه الله الجنة " .

لاحظنا كذلك أن أشخاصاً من عائلة موصيري كانت لهم مصاهرة مع عائلة قطاوي خاصة والعكس فالزوجة مثلاً من عائلة موصيري والزوج من عائلة قطاوي وعلى سبيل المثال على شاهد قبر السيدة " استير موصيري " ابنة ليئة بيك قطاوي .

لاحظنا أيضاً ان الكتابة باللغة العربية ومعها ترجمة بالفرنسية أو بالإنجليزية أو الايطالية . ولاحظنا كذلك اقتباس عبارات دينية مثل (ويمسح الرب الدموع عن كل الوجوه . وينزع عار شعبه عن كل الأرض) . لأن الرب قد تكلم كما كثرت الاختصاصات التي هي إحدى سمات اللغة العبرية ومن على سبيل المثال :

الحروف العبرية (ب - ع - ش - ط) ترمز الى عبارة " كان من الصالحين " .

وحروف (ن - ل - ع) ترمز الى عبارة " جنة عدن " .

وحروف (ت - ن - ص - ب - هـ) ترمز الى عبارة " تعمد الله برحمته " .

وحروف (ن - ل - ب - ع) ترمز الى عبارة روحه الى الجنة تصعد " .

وثمة ملاحظة أخيرة خاصة بالتصميم المعماري للقبر فهناك مدافن ضخمة وذات ارتفاعات عالية ومحمولة على أعمدة رخامية وذات مداخل واسعة وزخارف متنوعة

بينما نجد بعضها توصف بالبساطة ولا تحمل سوى اسم المتوفى وبعض العبارات الدعائية . . . هناك كذلك شواهد ذات تصميم معماري وأسلوب فني مقتبس من الفنون الأوروبية فمنها ما هو على شكل قارب ومنها ما يحمل عناصر زخرفية يهودية وأخرى محلية ومنها ما يحمل قبة مستديرة أو بيضاوية ومعظم الشواهد ان لم تكن كلها من الرخام الأبيض ومنقوش عليها هذه الكتابات باللغة العبرية ومعها ترجمة بلغات أوروبية .

وجدير بالذكر أن نشير الى أنه وسط هذا الحوش المعروف بحوش موصيري توجد

حجرات تحت الأرض تحوي على مواد الجنيزة والتي تم استخراج مجموعة كبيرة منها سنة ١٩١٢ تعرف بمجموعة موصيري كما تم استخراج مجموعة أخرى بواسطة المجلس الأعلى للأثار المصرية سنة ١٩٨٧ وهذه المجموعة الأخيرة بين يدي الباحثين الآن وهي محفوظة بمركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة . وجزء منها محفوظ بدار الوثائق القومية بالقاهرة وكلتاها معدة للدراسة والتحقيق وهناك كتالوج يضمها وليسهل دراستها وتحقيقها .

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن المجلس الأعلى للأثار المصرية قام بتسجيل حوش موصيري وما يحتوي عليه من شواهد القبور اليهودية وأيضا موقع الجنيزة للحفاظ عليه وعلى محتوياته التي تعتبر مادة أثرية خاضعة لقانون حماية الأثار المصرية .